المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد السادس عشر، يونيو ٢٠١٨ م

مكانة المرأة في شعر المتنبي وشوقي: دراسة مقارنة

الدكتور محمد إسماعيل شودهرى *

Abstract

Women have occupied an important position in Arabic poetry from the pre-Islamic period. All Arab poets both in Jahili and Islamic periods began their lyric poetry with love for women. Thus the celebrated poet of Abbasid period al-Mutanabbi and the greatest poet of modern age Ahmad Shauqi have presented the context of women in various ways in their poetry. Al-Mutanabbi didn't believe in the strength of women and he always discarded lyric poetry composed by other poets on love for women. He thought that women are inferior to men in every side, especially in knowledge and dignity. He never accepted equal rights of women as Ahmad Shauqi. On the other hand, Shauqi strongly called for freedom of women and women's education. He always inspired them to be free from the dominance of men and fought to establish their right and dignity. Because he believes the development of society is quite impossible without the enlightenment of women as they are half of our total population. This article aims at a comparative study of al-Mutanabbi and Ahmad Shauqi's attitudes towards women as appeared in their poetry.

المقدمة

احتلّت المرأة مكانة مرموقة في الشعر العربي قبل الإسلام وبعده، فالشعراء في الجاهلية والإسلام يبدَؤون قصائدَهم بالغزل، وكذلك فعل المتنبي وشوقي في بعض قصائدهما؛ لكنّ المتنبي لم يكن خاضعا لسلطان المرأة، ورفض ما ينساق إليه الشعراء من هيام وعشق للمرأة، وقد عاب

* أستاذ مشارك، القسم العربى، جامعة شيتاغونغ

عليهم ذكرها في بدأ القصائد. وإنما كان يخضع لحب السلطان والحكم والأدب والفروسية، ولم ينشد قصيدة مستقلة في الغزل، وإنما تأتي في طيّات قصائده، ولم يعط المرأة حقها في الحياة كما أعطاها شوقي، وكان يراها أقل عقلا وقدرا من الرجل. أما شوقي ـعلى العكس من ذلكـ فقد أحبّ المرأة وهام بها عشقا، ودعا إلى تحريرها وإعطائها حقها في التعليم، وكان يثور لكرامتها ولتعليمها، ويمدحها في حياتها، ويرثيها عند موتها، كما مدح ورثى السيدةَ "فاطمة إسماعيل" لدورها في الحياة المصرية. فأردنا أن نوضّح مكانتها في شعرهما في مقالة أدبية متواضعة تحت عنوان "مكانة المرأة في شعر المتنبي وشوقي: دراسة مقارنة".

حياة المتنبي بالإيجاز

ولد أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الجعفي سنة ٣٠٣هـ وتوفي سنة ٣٥٤هـ في حي من أحياء الكوفة. و هو الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة والمعاني النادرة. اتصل بالولاة والحكّام فقرّبوه وأكرموه، وأثار ذلك ثائرة الشعراء والحاقدين فكادوا له واتّهموه بادّعاء النبوّة فسجن وأوذي، ولكن التهمة لم تثبت عليه فعفي عنه.[1] يُعدّ المتنبي من الشعراء الطموحين المغرورين والمعتدين بنفسهم، والمتطلعين إلى المجد والسيادة وكان يؤمن بالقوة والجلد، أمضى حياته باحثاً عن طموحه ولكنه فشل في مبتغاه. قال المتنبي الشعر في كل غرض من الأغراض، و أجاد في وصف المعارك والعتاب والمراثي، و هو وفّق بين الشعر و الفلسفة، و أطلق الشعر من القيود التي قيّده أبو تمام و شيعته، وأخرجه عن أساليب العرب التقليدية. فهو إمام الطريقة الابتداعية في الشعر العربي.[2] كانت شخصية المتنبي وأوجه شعره المختلفة من أهم عوامل شهرته. و قد اتسعت الحركة المتنبيئيّة اتساعا عظيما، فشملت العهد العباسي وعهد الانحطاط وعهد النهضة، وذلك في الشرق والغرب.[3]

حياة أحمد شوقي بالإيجاز

ولد أحمد شوقي سنة ١٨٦٨م وتوفي سنة ١٩٣٢م في مصر. وهو من أسرة ممتزجة العناصر، جمعت بين كردية الأب وتركية الأم، وشركسية الجدة لأبيه ويونانية الجدة لأمه.[4] هو زعيم الشعراء و أميرهم، و إمام النهضة الحاضرة و قائدها. قال الشعر صغيرا و نبغ فيه و نظمه في كل غرض فأعجب، وقد دان له شعراء عصره ووفدوا إليه من الأقطار العربية وكرّموه و بايعوه؛[5] حمدت له مصر والعرب فأقاموا له في دار الأوبرا الملكية مهرجانا عاما لتكريمه اشترك فيه رجالات مصر و أقطاب الدول العربية برعاية الملك فؤاد الأول. قال أحمد حسن الزيات:

"يكاد النقاد يجمعون على أن شوقي كان تعويضا عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبي لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر، و يجدّد ما اندرس من نهج الأدب."[6] عرف شوقي ببنائه المحكم لقصائده، حتى إن هذه القصائد تبدو وكأنها عمارات باذخة على حد تعبير أحد الدارسين، وله أسلوب خاص في بناء الصورة، فهو رغم تأثره بالقدماء إلا أن هذا التأثر لم يكن إلا مجرد رواسب في الصورة عنده، فهو يلوّن الصورة بألوانه الخاصة ويظللها. أما الحسّ التاريخي والتراثي شديد الوضوح لدى شوقي، نلمسه في مسرحياته التاريخية كما نلمحه في قصائده الوصفية، وفي شعره بشكل عام فهو ينتقل بين الفراعنة والعرب القدامى واليونان والأمويين، وهذا الحسّ التاريخي والتراثي يطبع شوقي بطابع متميّز.[7]

مكانة المرأة في شعر المتنبي

كان المتنبي يتعالى على كل إنسان، بل على كل ما خلق الله، وفي ذلك يقول:

أيَّ مَحَلّ أرتـقِي * أيَّ عـظيمٍ أتّـقِي؟
وكلُّ ما قد خلقَ اللـ * ـهُ وما لَم يَخْلُق
مـحتقرٌ في هِمَّتي * كشَعْرةٍ في مَـفْرِقي[8]

وقد علق ابن وكيع على هذه الأبيات بقوله:"هذه أبيات فيها قلة ورع، احتُقِر ما خلق الله -عز وجل- وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين، وخلق الجن والملوك والجبارين، وهذا تجاوز في عُجب الغاية ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق وما لم يخلق، فكأنه لا يستعظم شيئاً مما خلق الله- عز وجل- الذي جميعه عنده "كشعرة في مفرقه."[9] وعلق عليها الثعالبي بقوله: "وقبيح بمن أوّله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة."[10] فمن كان هذا شأنه كيف يخضع للمرأة؟!

لقد كان هيام المتنبي وخضوعه لأشياء أخرى غير المرأة، وفي ذلك يقول:

تركنا لأطراف القنا كلَّ شهوةٍ * فليس لنا إلّا بـهنّ لِعابُ
نصرّفه للطّعن فوق سوابح * قد انقصفت فيهنّ منه كعابُ
أعزّ مكان في الدّنا سرج سابح * وخير جليس في الزّمان كتابُ[11]

فالمتنبي يصرح بأن متعته في الحياة هي الفروسية والأدب،[12] ويريد أنه فطم نفسه عن الملاهي و قصرها على الجد في طعان الأعداء؛ ثم يؤكد ذلك برفض ما ينساق إليه الشعراء من حب وعشق وهيام للمرأة ومعاقرة كؤوس الخمر، فالمتنبي لم يكن يهتم بالخمر، وعن ذلك يقول:

وللخَودِ منّي ساعةٌ، ثم بيننا * فلاةٌ إلى غير اللقاء تُجابُ
وما العشقُ إلّا غِرّةٌ وطماعةٌ * يعرِّض قلبٌ نفسَه فتُصَابُ
وغيرُ فؤادِي للغوانى رميّة * وغير بنانى للرّجاج ركابُ[13]

يقول الزوزني في معنى هذا البيت: "أي: بينه وبين الخود فلاة لا تُجاب إلى لقاء السائل، تُجاب إلى لقاء المجد والعُلى، ولا فلاة هناك على الحقيقة كما فسره، وإنما مراده التباعد بعدها عنهن والاشتغال بطلب المعالي دونهن."[14] فالشاعر يبتعد عن الشابّة الناعمة مُمعِنا في الابتعاد، ويظن أنّ عشق النساء غرور بهنّ وطمع في وصلهنّ إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيُصاب به؛ ثم يقول الشاعر: إنّ قلبي لا تصيبه النساء بسهام ألحاظهنّ إذ لا أصبو إليهنّ، و كذلك لا أحِبّ الخمر ولا أحمِل كأسَ الخمر بيدي.[15]

ولم نجد في شعر المتنبي خضوعا للمرأة، وربما وجدنا غزلا وعشقا وهياما بها، ولكنها لم تخضعه فلم يقل فيها ما قاله شوقي في قصيدة "جارة الوادي" :

وتَعَطّلتْ لغةُ الكلامِ وخاطبتْ * عَينيَّ في لغة الهوى عيناك
ومَحَوْتُ كلَّ لُبانَةٍ من خاطري * ونسيتُ كلَّ تَعاتُبٍ وتَشاكِي
لا أمس من عمر الزمان ولا غدا * جُمِع الزمان فكان يومَ رضاك[16]

كما هاجم المتنبي أسلوب شعراء الجاهلية في بدئهم قصائد المدح بالغزل، وفي ذلك يقول:

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ * أكلُّ بليغٍ قال شعرًا متيّم؟![17]

يقول الزهري في شرح هذه الأبيات: "إن الشعراء مُجْمِعون على تقديم النسيب في أشعارهم، والاستفتاح به في مدائحهم، وليس كل فصيح منهم عاشقاً، ولا كل شاعر سلف لهم متيماً، ولكن آخرهم في ذلك يتلو أولهم، حتى كأن ما يتواصفونه من الحب قد جعلوه فاتحة الشعر."[18]

وبالرغم من قوله هذا فقد نظم المتنبي باقةً من أرقّ أبيات الغزل في مقدمة بعض قصائده في المدح، وفي ذلك يقول:

أرَقٌ على أرقٍ ومثلي يأرَقُ * وجوًى يزيد وعبرة تَتَرَقْرَقُ
جُهْدُ الصبابةِ أن تكونَ كما أرَى * عينٌ مسهّدةٌ وقلبٌ يخفِقُ
ما لاحَ برْقٌ أو ترنّمَ طائرٌ * إلا انثنيتُ ولي فؤاد شيِّق
جرّبتُ من نار الهوى ما تنطفي * نار الغضا وتكلّ عما تُحرِقُ
وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذُقْتُهُ * فعجِبتُ كيف يموتُ من لا يعشَق؟![19]

ويصل بالمتنبي روعة الحب إلى درجة تعجبه كيف يموت البشر بغير العشق والهيام، يعني من لم يعشق يجب أن لا يموت؛ لأنه لم يُقاس ما يوجب الموت، وإنما الذي يوجبه هو العشق، وربما لو كان قد قال:

"فعجبت كيف يعيش من لا يعشق" لكان المعنى أروع.[20] والمتنبي لم ينظم قصائد غزل كاملة ولكن أبيات الغزل كانت تأتي في مقدمة بعض قصائده، وهي على قِلّتها من أرقّ أبيات الغزل وأعذبها، ومن ذلك قوله:

رأتْ وجْهَ من أهْوَى بليلٍ عواذِلي * فقُلْنَ نرى شمساً وما طَلَعَ الفجرُ
رأيْنَ التي للسحرِ في لَحظاتِـها * سُيوفُ ظباها منْ دمي أبداً حُمْرُ[21]

والمتنبي كان يهيم بفتيات البادية، وربما يرجع ذلك إلى أنه عاش صباه وشبابه في البادية، وعن ذلك يقول:

هَامَ الفؤادُ بأعْرَابِـيَّةٍ سَكَـنَتْ * بَيْتاً مِنَ القَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا
مَظْلُومَةُ القَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُناً * مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبا[22]

يقول الشاعر في البيت المذكور: ملكت أعرابية قلبي بلا كلفة ومشقة، فكانت كمن سكن بيتا لم يتعب في إقامته ولا مُدّ أطنابه؛ وهي مظلومة القدّ -إذا شُبّه بالغصن- لأنه أحسن منه، وهي مظلومة الريق -إذا شُبّه بالعسل- لأنه أحلى منه. وقال الواحدي: "وأحسن من هذا أن يقال: اتّخذتْ بيتا من قلبي فنزلته، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد."[23]

وفي قصيدته التي وصف فيها معركة "درب القُلّة"[24] التي انتصر فيها سيف الدولة على جيوش الروم- والتي اشترك فيها المتنبي في القتال- بدأها بأرق أبيات الغزل، وفيها يقول:

ليالِيَّ بعد الظاعنين شكولُ * طوالٌ وليلُ العاشقين طويل
ومَا شَرَقي بالماء إلا تَذَكُّرا * لماءٍ به أهلُ الحبيب نزُول[25]

ولكن المتنبي لم ينظم قصائد كاملة في الغزل كما نظم شوقي، والمتنبي لم يعط للمرأة حقها في الحياة كما أعطاها شوقي؛ لأن المرأة العربية في عهد المتنبي كانت مقهورة ذليلة، فقدت عزة نفسها، وكان الرجال يعاملونها بتعال واحتقار، ففي هذا العصر شاعت عادة "التسري"، وهو امتلاك الجواري والسراري من روميات وتركيات وفارسيات[26] فأهمل الأغنياء زوجاتهم واتجهوا إلى الجواري.

والمتنبي -كمعاصريه من الرجال- كان يرى المرأة أقل قدرا وعقلا من الرجل، وفي ذلك يقول الأستاذ المازني[27]: "لما رثى المتنبي "خولة" أخت سيف الدولة، وأخرجها من جنسها، ولم يرض إلا أن يجعلها غير أنثى العقل! وإن كانت قد خلقت أنثى، وإلا أن يفضلها عن عشيرتها التي نمتها، حيث يقول:

وإن تكن خُلِقتْ أنثى لقد خُلِقَتْ * كريمةً غير أُنثَى العقل والحسب
وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها * فإنَ في الخمر معنى ليس في العنبِ[28]

ونقول فيما قاله المتنبي: إن المتنبي لم يكتف بأنها: "غير أنثى العقل" ولكنه أضاف لها صفة الكرم التي يرى أن المرأة لا تحمله! هذا تصريح واضح بالنظرة الدونية لعقل الأنثى و لوصْفها. ويتمادى المتنبي في

الإقلال من شأن المرأة، ففي رثائه لعمة عضد الدولة يشير إليها بضمير المذكر، ويقول إن حسن ذكرها ينم على تذكيرها! وفي ذلك يقول:

يحسبه دافنهُ وحده * ومجدهُ في القبر من صحبهِ
ويُظهَر التذكيرُ في ذكره * وَيُسْترُ التَّأنِيثُ فى حُجْبِه[29]

وقد كان للمرأة نصيب من شعر المتنبي في الرثاء، فقد رثى عمة عضد الدولة ووالدة سيف الدولة وأختيه، ولكن هذا الرثاء- عدا رثاء خولة- كان رثاء رسميا لا نرى فيه الحزن والشجن، ولكن المتنبي أثراه بأبيات من أبلغ ما قاله المتنبي في الحكمة، فيقول في رثاء والدة سيف الدولة:

فلو كان النساء كمن وجدنا * لفضّلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب * وما التذكير فخر للهلال[30]

ومن الواضح أن المتنبي لم يكن يقصد رفع شأن المرأة، ولكنه كان يجامل سيف الدولة في والدته، وربما كان رثاء المتنبي لأخت سيف الدولة الكبرى يخرج عن هذه القاعدة، ففي رثائها يظهر الحزن والألم الحقيقي، بما جعل النقاد يُرجِعون هذه اللوعة إلى حبٍّ مكبوتٍ كان يربط المتنبي بها، كما أن رثائه لجدته -وهي التي قامت بتربيته بعد وفاة والدته- يظهر فيه الحزن العميق والألم الحقيقي.[31] و مجمل القول ما قاله المتنبي في رثاء المرأة كان من لسانه فقط، ما عدا خولة أخت سيف الدولة؛ لأنه كان يحبّها، وما عدا جدته؛ لأنها قامت بتربيته.

مكانة المرأة في شعر شوقي

أما شوقي فلم يكن متعاليا على الناس كالمتنبي، فقد كان متواضعا يحب الناس كبارهم وصغارهم، وأحب المرأة وهام بها وخضع لها، وعن ذلك يقول:

كلّ ما ترضاه يا مَوْ * لَايَ يرضاه ولائي
وكما تعلمُ حُبّي * وكما تدري وَفائي
فيك يا راحة روحي * طال بالواشي عَنائي[32]

وكان شوقي يرى أن المرأة تتساوى مع الرجل، وربما يكون اعتناق شوقي لهذا الفكر هو من تراث مصر القديمة حينما كانت المرأة تحظى بكل الحقوق، حتى أنها وصلت إلى الحكم، وجلست على عرش مصر، لقد حكمت مصر القديمة خمس ملكات، "نيتوكريس" من الدولة القديمة و"نفروسبك" من الدولة الوسطى و"نفرتيتي" و"حتشبسوت" و"تاوسرت" من الدولة الحديثة، كما حكمت "كليو باتره" في عصر البطالمة و"شجرة الدر" في الدولة الأيوبية.

ولقد كان شوقي سابقا لعصره؛ فقد رأى أن المجتمع لا يرقى إلا إذا أعطيت المرأة حقوقها كاملة، فوقف إلى جانبها بل وتحيّز لها، ولعل تحيز

شوقي للمرأة جاء نتيجة للظلم والقهر الذي تعرضت له، فرأى أن يعوضها عن ما قاسته مئات السنين، عندما كُبّلتْ بالقيود والأغلال، وحُرِمت من التعليم والتنوير، بل ومن الخروج إلى الحياة، فقد وضعها الرجل خلف حجاب كثيف على وجهها وخلف حجاب من التخلف على عقلها، وربما كان تحيز شوقي للمرأة جاء تلقائيا من عقله الباطن؛ ففي قصيدته التي يوجّهها إلى أبنائه الثلاثة يقول:

إذا ما بدا لي أن أفاضل بينهم * أبى لي قلب عادل ورحيم[33]

ولكن بالرغم من قوله هذا فقد نظم لابنته "أمينة" مائة بيت واثنين من الشعر، ولم ينظم لابنيه "علي" و"حسين" سوى اثنين وعشرين بيتا!

كما جاء رثاؤه لوالدته في اثنين وخمسين بيتا، والقصيدة تحمل الحزن والشجن العميق،

إلى الله أشكوا من عَوَادي النَّوَى سهما * أصابَ سُوَيْداءَ الفؤادِ وما أصْمَى[34]

أما رثاؤه لوالده فقد جاء في واحد وثلاثين بيتا، وقد رثى جدته بقصيدة من أبلغ ما قاله في الرثاء، وفيها يقول:

خُلِقنا للحياة وللممات * ومن هذين كلُّ الحادثات
هي الدنيا قتالٌ نحن فيه * مقاصد للحُسام وللقَناة
وكل الناس مدفوعٌ إليه * كما دُفِعَ الجبانُ إلى الثّبات
نُرَوَّعُ ما نُروَّعُ ثم نُرمَى * بسهمٍ من يد المقدورِ آتٍ[35]

ثم يفخر بنفسه وبالانتماء إليها، وجدته لم تكن أصلا مصرية، ولكنها تمصرت وأسلمت وحسن إسلامها، وفي ذلك يقول:

ولو لم تظهري في العرب إلا * بأحمدَ كنتِ خيرَ الوالداتِ[36]

ولكن لم نجد لشوقي رثاء لجده.

وفي قصيدة "مملكة النحل" نرى بين سطورها تحيز شوقي للمرأة، فمن المعروف علميا أن التي تحكم المملكة ملكة، وفي ذلك يقول:

الملكُ للإناثِ في الدّ * ستور، لا للذكره
أنثى، ولكن في جَنا * حَيها لباةٌ مخدّره[37]

فشوقي يريد أن يقول إن المرأة تصلح للحكم، وربما تكون أقدر على الحكم من الرجل الذي وصفه بالطمع واللؤم.

وقد وعى شوقي أن عزل المرأة عن المجتمع ليس من الإسلام في شيء، فقد شاركت النساء في الدعوة الإسلامية، وتفقّهن في الشريعة، وعملن

بالسياسة والتجارة، بل واشتركنَ في القتال للدفاع عن العقيدة، وفي ذلك يقول:

خُذْ بالكتابِ والحديـ * ـثِ وسيرةِ السلف النّقاة
وارجع إلى سنن الخليـ * ـفة واتّـبع نُظم الحياة
هذا رسول الله لم * يُنقِص حقوقَ المؤمنات
العلمُ كان شريعةً * لنـسائه المتفقّـهات
رُضْنَ التجارةَ والسيـ * ـاسة والشئون الأُخريات[38]

دعا شوقي لتعليم المرأة، فالمرأة الجاهلية ربّت أحياناً النشءَ في جهل وتخلف، ففي قصيدة "العلم والتعليم" التي تحفظها الأجيال:

قُم للمعلّم وفِّهِ التبجيلا * كاد المعلّمُ أن يكون رسولا؟[39]

ويقول:

وَجَدَ المُساعِدَ غَيرُكُم وَحُرِمتُمُ * في مِصرَ عَونَ الأُمَّهاتِ جَليلا
وَإذا النِساءُ نَشَأنَ في أُمِّيَّةٍ * رَضَعَ الرِجالُ جَهالَةً وَخُمولا[40]

ويكرم شوقي الأم، ويؤكد أنها هي التي تُكوِّن شخصية الطفل، وفي ذلك يقول:

لولا التُّقى لقلتُ: لم * يخلق سواك الوالدا
إن شئتِ كان العَيْرَ، أو * إن شئتِ كان الأسدا[41]

ويؤيد شوقي "قاسم أمين" الذي نادى بتعليم المرأة ورفع الحجاب عن وجهها وعن عقلها، ولكن "قاسم أمين" لم ينادِ برفع الحجاب كلية، بل الترفق في استعماله، فلم يكن "قاسم أمين" داعياً إلى التبرّج، بل إلى تحرير المرأة في حدود شريعتنا وأخلاقنا، وقد بيّن شوقي آراء "قاسم أمين" في القصيدة التي رثاه فيها، وفي ذلك يقول:

ماذا رأيتَ من الحجاب وعسره * فدعوْتَنا لترفُّق ويَسار
رأيٌ بدا لك لم تجده مخالفًا * ما في الكتاب وسنة المختار
إنَّ الحجابَ سماحةٌ ويسارةٌ * لولا وحوشٌ في الرجال ضواري[42]

وفي رثاء "مصطفى باشا فهمي" رئيس وزراء مصر والذي لم يعقب ذكورا، وكان من بناته السيدة "صفية زغلول" زوجة الزعيم "سعد زغلول" يرفع شوقي من شأن المرأة فيقول:

إن البنات ذخائرٌ من رحمة * وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووفاءِ
والساهراتُ لعلّةٍ أو كَبْرَةٍ * والصابراتُ لشدّةٍ وبلاءِ[43]

وكان شوقي يثور لكرامة المرأة، فعندما لاحظ أن بعض الموسرين من الشيوخ المصريين الذين بلغوا من العمر أرزله يتزوّجون من فتيات صغيرات، تصدى لهذه الظاهرة الخطيرة؛ فقد دأب هؤلاء الشيوخ إلى الذهاب إلى الأستانة "دارالسعادة" والزواج من فتيات تركيات بعد إغراء

أسرهن بالمال، وقد رأى شوقي أن هذا التصرف الطائش يقوّض استقرار الأسرة المصرية ويهدم كيانها، فضلا عن الوضع غير الإنساني من زواج شيخ بفتاة صغيرة، فنظم قصيدة "عبث المشيب" مدافعا عن المرأة المقهورة يقول فيها:

يتزوجون على نساءٍ تحتهم * لا صاحباتِ بُغًى ولا بشرار
من كل سبعين يكتم شيبه * والشيب في فَودَيْه ضوءُ نهار
ما زُوِّجَتْ تلك الفتاة وإنما * بِيعَ الصِّبا والحسنُ بالدينار
فتّشتُ لم أر في الزواج كفاءةً * ككفاءة الأزواج في الأعمار[44]

ويكرم شوقي الأميرة "فاطمة إسماعيل"، وكانت الأميرة قد تبرعت بالأرض وبأموال كثيرة، ثم بمجوهراتها لإنشاء جامعة القاهرة، وفيها يقول :

وبارك الله في أساس جامعة * لولا الأميرة لم تصبح بأساس
فما لصنعكِ صنع في محاسنه * ولا لفضلكِ في الأجيال من ناس[45]

وعندما رحلت الأميرة إلى رحاب الله ذكر شوقي فضلها فقال:

لو عشتِ شِدتِ مثلها * للمرأة المحررة
قرنتِ كل حجر * في أساسها بجوهره[46]

ويكرم شوقي المرأة المصرية لاشتراكها في ثورة 1919م ضد الإنجليز، ولكنه يحذرها من أن تقلد نساء الغرب في سلوكهن، وعن ذلك يقول:

قم حيِّ هذي النَّيِّرَاتِ * حيّ الحِسان الخيِّرات
زين المقاصر والحجا * ل وزين محراب الصلاة
اذكر لها اليابانَ لا * أُمَمَ الهوى المتهتّكات
مصر تُجدّد مجدَها * بنسائها المتجدّدات
لمّاحضنَّ لنا القضيّة * كنّ خير الحاضنات[47]

قال شوقي هذه القصيدة بعد أن عاد من المنفى ورأى أن الحركة النسوية (feminist movement) قد فاقت ما قُدّر لها، وأنه لا فائدة من معارضة المرأة، إذ صار السفور حقيقة واقعة بانتشار مدارس البنات، والمساواة بينهن وبين البنين في التعليم، واختلاطهن بهم في قاعات الدرس وبالجامعة، وصادف هذا هوى منه،[48] ونرى في الحرب التركية اليونانية يكرم شوقي الفتاة التركية "زينب" التي اشتركت في القتال فيقول:

وما راعني إلا لواءٌ مُخَضَّبٌ * هنا لك يحميه بنان مخضّبُ
يؤلّف إيلافُ الحوادثِ بيننا * ويجمعنا في الله دينٌ ومذهبُ
رفعتِ بنات الترك قالت: وهل بنا * ت الضواري أن نصولَ تعجّبُ[49]

الخاتمة

من العرض السابق يتضح لنا أن المتنبي وشوقي شاعران عظيمان، لهما دور كبير في إثراء الأدب العربي، عبّرا عن النساء في شعرهما، وأن المتنبي كان مغرما بالسلطة والأدب والفروسية، ولم يُعطِ المرأة قدرها، ويرى أنها الأقل من الرجل عقلا وعلما وقدرا، لم يخصص لها قصائد في ديوانه، وإنما ذكرها في طيات شعره، وكان يرى أن الناس- جميعهم- أدنى منه مكانة وشهرة؛ خلافا لأمير الشعراء أحمد شوقي، فقد أنصف المرأة في شعره، ودعا إلى تحريرها من عبوديّة الرجل، ولذلك أيد "قاسم أمين" في أفكاره تجاه المرأة، ودعا إلى تعليمها وإعطائها قدرها في الحياة، فهي الأم والزوجة والبنت التي تشارك في الثورات والحروب المحدّدة لمصير الأمم والشعوب، ولذلك مدحها ورثاها في شعره؛ لما لها من دور بارز في ارتقاء الحياة الإنسانية.

المراجع والمصادر

1. الشيخ أحمد الإسكندي و الشيخ مصطفى العناني، الوسيط في الأدب العربي و تاريخه (القاهرة: دار المعارف، ط 18، ب ت)، ص: 272-273.
2. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (القاهرة: دار نهضة مصر، ب ت)، ص: 300
3. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (مصر: المطبعة البولسية، ب ت)، ص: 596.
4. المرجع السابق، ص: 972.
5. الوسيط في الأدب العربي و تاريخه، ص: 404.
6. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص: 501.
7. الدكتور محمد صالح الشنطي، الأدب العربي الحديث (حائل: دارالأندلس للنشر والتوزيع، 2005)، ص: 80-83.
8. أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح: أبي البقاء العكْبَري (بيروت: دار المعرفة، ب ت)، ج: 2، ص: 341.
9. الحسين بن علي الضبي أبو محمد (ابن وكيع)، المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق: عمر خليفة بن ادريس (ليبيا: جامعة بنغازي، ط: 1، 1994م)، ج: 1، ص: 317
10. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مكتبة الحسين التجارية، ط:2، 1997م)، ج: 1، ص: 90.
11. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 1، ص: 193.

12. طه حسين، مع المتنبي (القاهرة: دار المعارف، ط1، 1986م)، ص: 45.
13. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 1، ص: 192.
14. العميد أبوسهل محمد بن الحسن العارض الزوزني، قشر الفسر، تحقيق: دكتور عبد العزيز ناصر المانع (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط: 1، 2006م)، ج: 1، ص: 82.
15. عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، المراجعة: د. يوسف الشيخ محمد البقاعي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2007)، ج: 1، ص: 199.
16. أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي (الشوقيات)، شرح وضبط وتقديم: علي العسيلي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط: 1، 1998م)، ج: 1، ص: 428.
17. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 3، ص: 350.
18. إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، شرح شعر المتنبي، تحقيق: دكتور مصطفى عليان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1992م)، ج: 1، ص: 308.
19. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 2، ص: 332-333.
20. جوزيف الهاشم،أبو الطيب المتنبي شاعر الطموح والعنفوان (لبنان:دارالمفيد، ط:4، 1982م)، ص: 23.
21. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 2، ص: 123-124.
22. المرجع السابق، ج: 1، ص: 111.
23. شرح ديوان المتنبي، ج: 1، ص: 152.
24. "درب القلّة" بضمّ القاف و تشديد اللام، مكان في بلاد الروم. (معجم البلدان، ج: 2، ص: 448)
25. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 3، ص: 95، 97.
26. محمد كمال حلمي، أبو الطيب المتنبي حياته وشعره (بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، ط: 3، 1982م)، ص: 108.
27. الأستاذ عبد القادر المازني، حصاد الهشيم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:4، 2001م)، ص: 163.
28. ديوان أبي الطيّب المتنبي، ج: 1، ص: 91.
29. المرجع السابق، ج: 1، ص: 214.
30. المرجع السابق، ج: 3، ص: 18.
31. محمد إبراهيم سليم، أبو الطيب المتنبي (شعراء العرب والإسلام) (القاهر: دار الطلائع، ط: 2، 1997م)، ص: 104.
32. أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي (الشوقيات)، شرح وضبط وتقديم: علي العسيلي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط: 1، 1998م)، ج:1، ص: 354-355.
33. المرجع السابق، ج: 2، ص:111.
34. المرجع السابق، ج: 2، ص: 129.
35. المرجع السابق، ج: 2، ص: 35.
36. المرجع السابق، ج: 2، ص: 36.
37. المرجع السابق، ج: 1، ص: 123-124.
38. المرجع السابق، ج:1، ص: 94.
39. المرجع السابق، ج: 1، ص: 153.
40. المرجع السابق، ج: 1، ص: 156.
41. المرجع السابق، ج: 1، ص: 267.
42. المرجع السابق، ج: 2، ص: 70.
43. المرجع السابق، ج: 2، ص: 9.
44. المرجع السابق، ج: 1، ص: 115-116.
45. المرجع السابق، ج: 1، ص: 182
46. المرجع السابق، ج: 2، ص: 79.
47. المرجع السابق، ج: 1، ص: 93-95.
48. عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث (بيروت: دار الفكرالعربي، ط: 1، 2000)، ج: 2، ص: 207.
49. الشوقيات، ج: 1، ص: 48، 50.